الفصل الثاني

١- خلاف في ظلال الحب

٢- هو الحياة

٣- نفع بالجهد

٤- إلا من آمن وعمل صالحًا

١- خلاف في ظلال الحب

خَلَقَ الله عقول البشر على التنوع والتباين، فلكل إنسان طريقته في التفكير، ووسيلته في تصور الأحكام والمواقف، وتبعًا لهذا التنوع وذاك التباين يبدأ الخلاف بين عامة البشر

هذا من حيث الطبيعة البشرية أو الفطرة الإنسانية، ولكن أنزل الله دينه وشرعه حتى تضيق دائرة الاختلاف، ويجعل القلوب والنفوس تأتلف وتلتقي على كلمة سواء

سُنة كونية وسُنة شرعية:

فإذا كان من طبيعة البشر الاختلاف والتنوع والتباين في الأفكار والتصورات، كما قال الله تعالى " وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ*إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[1]

وهي سنة كونية من الله تعالى في خلقه، فإنها تدفع هذه السنة الكونية بالأمر الشرعي الإلهي بوجوب الائتلاف والاجتماع، قال الله تعالى."وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"[2]، وقال جل جلاله."وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[3]

---

١ - الآيات ١١٨، ١١٩ من سورة هود

٢ - الآية ٤٦ من سورة الأنفال

٣ - الآية ١٠٥ من سورة آل عمران

وهذه هي طبيعة التعامل والتفاعل بين ما هو من قدر الله وسننه في الكون، وبين ما هو من شرعه ودينه، فندفع القدر الإلهي بالأمر الشرعي، فندفع قدر استكبار الظالم بنصرة المظلوم، وندفع قدر المرض بالتداوي، وندفع قدر الاختلاف بالائتلاف.

مجالات الاتفاق.

ولأجل تضييق هوة الخلاف بين الأفراد قرر الشرع أن هناك دوائر أو مجالات لا يجوز الاختلاف حولها، لأنها من ثوابت هذا الدين ومرتكزاته، وتتمثل - إجمالاً - في القطعيات الشرعية، ويقصد بها ما كان قطعي الثبوت والدلالة سواء أكان في باب العقائد أو العبادات أو الأخلاق، فأركان الإيمان الستة، ووجوب الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وفرضية الزكاة إجمالاً، وحرمة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفضيلة الصدق والأمانة والمروءة والشهامة، أو رذيلة الكذب والخيانة، وغيرها من سَيِّءِ الأخلاق، كل هذا من القطعيات الشرعية التي لا يجوز الاختلاف حولها

مجالات الاختلاف:

أما غير ما هو قطعي في الشرع فالاختلاف فيه واسع، وتنوع الأفكار والتصورات فيه وارد، وأكثر ما يكون هذا الاختلاف في" الفروع الفقهية"؛ وذلك لأن النصوص فيه -- أي الفروع الفقهية - إما أن تكون ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة، وهو مجال رحب لأن يُعْمِلَ كلُّ عالمٍ ومتخصصٍ فيه عقلَه وفق ضوابط خاصة حتى لا يحصل الشطط والانحراف.

الخلاف الفقهي رحمة.

قاعدة أطلقها علماؤنا على مدار تاريخ هذه الأمة أن."**إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة**"، وهي قاعدة مبنية على استقراء نصوص الشرع، وفهم مقاصده، وإدراك ما جرى بين الصحابة ومن تبعهم من اتفاق واجتماع، وائتلاف واختلاف، فما أجمع عليه العلماء لا يجوز خلافهم فيه، وما اختلفوا فيه فالأنظار فيه متفاوتة، ويجوز لكل فرد أن يختار منها ما يعتقده عمليًا، وفي هذا رحمة واسعة كما قال عون بن عبد الله التابعي الجليل وأحد فقهاء المدينة السبعة."**ما أحب أن أصحاب النبي ﷺ يختلفوا فإنهم لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل ترك السنة، ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحدهم أخذ بالسنة**" فاختلاف الآراء هنا فيه باب لحرية اختيارِ كلٍّ بما يناسب ظروفَه وأحواله، فقد يناسب هذا الرأي ما لا يناسب الآخر، ويختلف هذا التناسب باختلاف الشخص والحال والزمان والمكان، ولا يخفى أن هذا الاختيار إنما يكون في إطاره وضوابطه المقررة[1].

تفاعل العقل والقلب.

الاختلاف الفقهي هو مجال عمل العقل، أما الحب والبغض فهو مجال عمل القلب، وعلى هذا فلا ينبغي أن يؤدي اختلاف العقول إلى اختلاف القلوب؛ وذلك لأن اختلاف العقول في مجاله مُقَرَّر ومقبولٌ شرعًا، بل إن المجتهد في الفقهيات – وإن أخطأ – فهو مأجور غير مأزور، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه

---

١ – انظر تفصيله اختيار الآراء الفقهية وضوابطه في موضوع "الاتباع الراشد" في الجزء الخامس من هذه السلسلة"

سمع رسول الله ﷺ يقول "إذا حَكَمَ الْحاكمُ فَاجْتَهد ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْـرَان وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهدَ ثُمَّ أَخطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"[رواه البخاري الحديث ٦٨] "ولكل مجتهد أجر"[1]، أما اختلاف القلوب من أجل الاختلاف في الفقه فمنهيٌّ عنه شرعًا، بل إن الاجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف هو أصل من أصول هذا الدين، قال الله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون"[2] وقال سبحانه: "إنّ الله يحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيانٌ مرصوص"[3]، وينهى عن التفرق فيقول سبحانه "وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ واصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"[4] والآيات في هذا كثيرة، أما في السنة، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[رواه مسلم، الحديث ٤٦٨٥]

الخلاف يهدم الإسلام

قلت مما سبق أن[الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة وبغضاء][5]، فإذا ما أدى هذا الخلاف إلى الشحناء والبغضاء فان سببه هنا يكون في التواء النفوس، وبُعْدها عن جادَّة الصواب.

---

١ – حسن البنا، رسالة التعاليم، صـ٣، الأصل السادس عشر

٢ – الآية ١٠٣ من سورة آل عمران

٣ – الآية ٤ من سورة الصف

٤ – الآية ٤٦ من سورة الأنفال

٥ – حسن البنا، رسالة التعاليم، صـ٣، الأصل السادس عشر

وظهور مثل هذه المواقف والسلوكيات الذميمة دليل على مرض في النفس يحتاج إلى مجاهدة لاستئصاله أو علاجه، وإليه يشير قول الرسول ﷺ "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ"[رواه الترمذي، الحديث ٢٥٧٨]. فهذا الرجل يتخذ من العلم واختلاف الفقهاء ما يحقق به أغراضه من مجاراة العلماء ومماهاتهم، ومجاراة السفهاء، وصرف وجوه الناس إليه، والأخذ من الأمراء. وهذه أمراض إذا تواجدت في نفس مسلم هدمت الإسلام، فعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت. لا قال:"يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين"[رواه الدارمي، الحديث٢١٦].

في ظلال المحبة

لكن هل هذا الخوف من التفرق والشقاق بسبب الاختلافات الفقهية لا يجعلنا نتحاور ونتناقش ونتشاور في مثل هذه المسائل العلمية؟ والإجابة أنه بعد تقرير هذه القواعد التي تحدثنا عنها من ضرورة الاختلاف الفقهي، ووجوب اتفاق القلوب وائتلافها، والبعد عن أغراض الهوى والنفس، إذا تقرر هذا وتحقق فإنه" لا مانع من التحقيق العلمي البريء في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجرّ ذلك إلى المراء المذموم"[1]، ولنا في صحابة رسول الله ﷺ أسوة في التحقيق العلمي البريء في ظل الحب في الله

---

١ – حسن السماء، رسالة التعاليم، صـ٣، الأصل السادس عشر

التزام وعمل.

هيا نلزم أنفسنا بـ..

- عدم تعيير القلب تجاه صاحب رأي في أمر اجتهادي، المخطيء فيه مأجور
- استئصال الخصومة والعصاء بسبب الخلاف الفقهي في الفروع
- ترك المراء عند النقاش من أجل الوصول إلى الحقيقة في مسائل الخلاف

*****

٢- هو الحياة

الوقت هو الحياة وهو العمر الحقيقي للإنسان، وحفظه وحسن الاستفادة منه أصل كل خير، وضياعه منشأ كل شر

إدراك يتبعه حرص:

إذا أدرك الإنسان قيمة شيء وأهميته حرص عليه وعزّ عليه ضياعه وفواته، وكذلك الوقت إن أدرك الإنسان قيمته فسوف يصبح أكثر حرصًا على حفظه واغتنامه، وها هو الإمام ابن الجوزي يلفت انتباهنا إلى ضرورة الوعي بقيمة الوقت فيقول "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيِّع منه لحظة في غير قربة" ولذا فمن الضروري أن يظل حيًا في شعورنا وحواسنا أن الوقت مورد محدود لا يمكن زيادته كما عرفه الحسن البصري حين قال."يا ابن آدم إنما أنت أيام معدودة، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك"، وأن نستحضر دائمًا أنه لا يعوّض، وألا يغيب عن وجداننا أننا سوف نحاسب عن الوقت يوم القيامة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حين قال."**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**"[رواه الترمذي، الحديث ٢٣٤١].

ويسعى أن تكون هذه المعاني حية في نفوسنا، فتدفعنا إلى الحرص على أوقاتنا مثل سلفنا الصالح الذين قال عنهم الحسن البصري "أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم".

إدارة الوقت سبيل النجاح

حسن إدارة الوقت وتنظيمه هو الخطوة الأولى والأساسية لاستثمار الوقت والانتفاع به فيما يعود على الإنسان بالخير والفلاح في دنياه وأخراه، ودلك لأن حسن تنظيم الوقت يمنح صاحبه قدرة على إنجاز الأعمال والمهام المطلوبة منه في الوقت المحدد لها، كما يبعده عن الشعور بالتشتت وفقدان التركيز، ويساعده على الانتقال من عمل لآخر بطريقة منظمة، ويجعله كذلك قادرًا على أداء أدواره المتعددة في الحياة سواء أكانت تعبدية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حيوية أو غير ذلك بحيث لا يطغى فيه جانب على آخر، بل إن حسن إدارة الوقت وتنظيمه يسمح لصاحبه بأن يأخذ وقتًا كافيًا للراحة والاستجمام وممارسة الهوايات

تخطيط وتنظيم

ومما يعين المرء على إدارة وقته بصورة جيدة أن يضع لنفسه خطة أسبوعية يحدد فيها المهام والأعمال التي سيقوم بإنجازها خلال هذا الأسبوع، ثم يوزع هذه المهام على أيام الأسبوع، وفي بداية كل يوم عليه أن يقف مع نفسه بضع دقائق ليحدد المهام والأعمال التي سيقوم بإنجازها خلال يومه مراعيًا تسجيل جميع هذه المهام من أعمال ولقاءات واتصالات وغير ذلك في ورقة يمكنه الاحتفاظ بها ومطالعتها طوال يومه، مرتبًا لأهمية كل مهمة من هذه المهام وأولويتها، محددًا وقتًا لإنجاز كل منها، واضعًا وقتًا للراحة والاستجمام وممارسة الهوايات، كل ذلك مع ترك مساحة من المرونة للتعامل مع الظروف الطارئة والابتعاد عن تضييع وقته في الإفراط في التخطيط والتنظيم.

التزام وتقويم

من الضروري لكي يؤتي التخطيط ثماره أن يتبعه التزام وحدية في تنفيذ المهام الموضوعة وعدم الحيدة عنها إلا لمواءمة الظروف الطارئة، وكذلك من الضروري بعد انتهاء اليوم أن يقف المرء مع نفسه وقفة تقييم لأدائه خلال هذا اليوم الذي انقضى، فيسأل نفسه في أي شيء أمضى ساعاته؟ هل أدى المهام المطلوبة منه؟ هل أداها في وقتها المحدد لها؟ كيف كانت كفاءته في أدائها؟ هل كان يمكن اختصار وقت أدائها؟ إلخ، فمثل هذه الوقفة تساعده على تقويم إدارته لوقته وتدفعه للبحث عن أساليب ووسائل تساعده على تطوير استثماره لوقته وتحسينه لذلك

سرعة في الأداء

ومن العوامل التي تساعد على حسن استثمار الوقت والانتفاع به، أن يحرص المرء على إنجاز أعماله في أسرع وقت ممكن مع عدم التسويف، ومما يساعد على ذلك أن يخصص وقتًا محددًا لإنجاز كل مهمة، مع التركيز في إنجازها وعدم تشتيت الذهن والجهد في أشياء أخرى، وكذلك الابتعاد عن المثالية المفرطة في إنجازها

التزام ووفاء.

فالوفاء بالعهود والالتزام بالمواعيد يمنح صاحبه قدرة أفضل على الاستفادة بوقته والانتظام في إنجاز مهامه بحسب ما خطط لها، ومما يساعده على ذلك أن يرتب مواعيده بشكل جيد، وأن يتأكد من تذكر الطرف الآخر لزمان تلك المواعيد ومكانها، وكذلك أن يتهيأ لها قبل أوانها، وأن يقدِّر الوقت الذي يستغرقه في الوصول لمكان الموعد مع ترك بعض الوقت للطوارئ

سعة في الوقت.

يمكن للمرء أن يضيف ليومه وقتًا حديدًا إضافيًا يستطيع من خلاله أن ينجز عددًا أكبر من المهام خلال يومه، ويمكنه زيادة هذا الوقت الإضافي من خلال

إزاحة حدود التعب قليلاً فإذا خطط المرء لإنجاز عدد محدود من المهام أو خطط أن يعمل حتى ساعة معينة، فوسعه أن يفعل أكثر من ذلك بذل المزيد من الجهد وبإزاحة حدود تعبه، فيضيف بذلك وقتًا جديدًا إلى وقته

جمع المهام المتوازية وذلك بالتعرف على المهام التي يمكن إنجازها معًا في وقت واحد كأن تطهو المرأة وترتب منزلها وتستمع إلى [شريط كاسيت] في آن واحد، وكأن يقوم المرء بتلاوة الأذكار أثناء تمشيه لبعض المهام أو أثناء التنقل

تطبيق قاعدة ٢٠/٨٠ وتعني أن ٢٠٪من الأعمال التي نقوم بها تحقق ٨٠٪ من الأهداف التي نود تحقيقها، والعكس صحيح، فإن ٨٠٪ من الأعمال التي نقوم بها قد لا تحقق لنا إلا ٢٠٪ فقط مما نريد، فعلينا أن نلاحظ أعمالنا ونتائجها ونبحث عن هذه الأعمال الحيوية ونعطيها الأولوية ونؤديها بكفاءة عالية

استثمار الأوقات الضائعة مثل أوقات الانتظار والمواصلات والأوقات البينية في عمل مفيد كإنجاز إحدى المهام الصغيرة أو بإجراء بعض الاتصالات التليفونية أو تلاوة القرآن وحفظه أو بقراءة جريدة أو كتاب مفيد أو الاستماع لشريط كاسيت .. إلخ

*****

٣- نفع بالجهد

تبات على الصراط:

ومن الثمار التي يحبها الساعي في قضاء حاجات الناس أن يثبِّت الله قدمه على الصراط الذي هو أدق من الشَعْر وأحدُّ من السيف، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: "ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام" [رواه ابن أبي الدنيا بسند حسن].

صدقة لك:

وإن ضاقت يد المرء عن بذل المال وإنفاقه في سبيل الله تعالى، فأمامه أبواب عديدة يستطيع أن يزاحم بها أصحاب الأموال في إنفاقهم وكأنه يتصدق بما يتصدقون به من أموال، وذلك مما يبذله لمن حوله من ألوان النفع بالجهد، فعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ".. وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعَظْمَ وَالْحَجَرَ وَتَهْدِي الأَعْمَى وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ" [رواه أحمد، من الحديث ٢٠٥١٠].

خير من الاعتكاف.

الاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة يستغرق فيها المرء في العبادات من صلاة وذكر وتلاوة للقرآن وغير ذلك، هذا إذا كان الاعتكاف في أي مسجد، أما إن كان الاعتكاف بمسجد النبي ﷺ حيث يضاعف الأجر به ألف مرة عن

غيره من المساجد، فلا شك أن الاعتكاف سيكون أعظم، ورغم هذا كله إلا أن النبي ﷺ يجعل حرص المرء على نفعه لمن حوله وسعيه معهم لقضاء حوائجهم أفضل من ذلك كله، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال "ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد- يعني مسجد المدينة- شهرًا" [رواه الطبراني بسند حسن]

ذهب المفطرون بالأجر

وخدمة الآخرين والقيام بشئونهم يعظم به الأجر حتى ليفوق القائم بذلك خيرًا مما ينال غيره من المشتغلين بالعبادة عن قضاء هذه الحاجات، فعن أنس ﷺ قال. كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ قَالَ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَكْثَرُنَا ظِلاًّ صَاحِبُ الْكِسَاءِ وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ قَالَ فَسَقَطَ الصُّوَّامُ وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ فَضَرَبُوا الأَبْنِيَةَ وَسَقَوْا الرِّكَابَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ"[رواه مسلم، الحديث١٨٨٦] وتعلم أحد العلماء الصالحين ذلك المعنى من حديث النبي ﷺ فكان يترك صيام النافلة في بعض الأيام التي اعتاد صيامها حتى لا يضعف عن قضاء حوائج الناس

اشفعوا تؤجروا:

ومن أبواب عون الآخرين في قضاء حاجاتهم أن يشفع لهم المرء عند من يقدر على قضاء هذه الحاجات من حاكم أو قاض أو مسئول أو وليّ امرأة يريد أن ينكحها أو روح عند روجته أو غير ذلك من الناس، على أن تكون هذه الشفاعة في أبواب الخير، كما دعانا لذلك المولى ﷻ في قوله.﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً

حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا[1]، والنبي ﷺ يضرب لنا المثل والقدوة في ذلك، فها هو ﷺ يتشفع لرجل عند امرأته حين احتارت فراق ذلك الرجل وحزن حزنًا شديدًا لهذا، فقال لها صلى الله عليه وسلم: "لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْمُرُنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا شَفِيعٌ قَالَتْ فَلا حَاجَةَ لِي فِيهِ" [رواه النسائي، الحديث٥٣٢٢].

وعن معاوية ﷺ قال اشفعوا تؤجروا فإني لأريد الأمر فأؤخره كيما تشفعوا فتؤجروا، فإن رسول الله ﷺ قال. "اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا" [رواه البخاري، من الحديث١٣٤٢]

سعي ونفع

كانت هذه بعض صور نفع الآخرين بالجهد وفضائلها، فلنحرص على بذل ما وسعنا من جهد في عون الآخرين، ولنساهم بمجهدنا في إيصال حقوق الفقراء إليهم، ونشفع للمحتاجين ونتوسط لهم في أبواب الخير.

*****

١- من الآية ٨٥ من سورة النساء

٤- إلا من آمن وعمل صالحًا

نُعتَ الناس مصروعين سمحة شقت الأرض، وتوافدوا إلى المحشر السابقون ركبانًا، والباحون مشاة، وسُحب المحرمون على وجوههم، فيروا جميعًا لله الواحد القهار لا يخفي على الله منهم شيء، وها وحد كل إنسان نفسه منفردًا، متجردًا من كل ما كان له، إلا من عملٍ صالح قدمه لهذا اليوم العصيب

أمان في يوم الفزع

في ظل أهوال هذا اليوم وما يصيب الناس فيه من فزع وهلع يؤمِّن المولى ﷻ فريقًا من الناس، فلا يناهم ما نال الناس من الفزع والهلع

ومن هؤلاء الذين يمنحهم الله سبحانه أمانه يوم الفزع الأكبر مَن قاتل في سبيله حتى قتل شهيدًا، فعن المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ**"[رواه الترمذي، من الحديث١٥٨٦]، ويأمن مع الشهيد من مات وهو مرابط في سبيل الله، فعن أبي هريرة ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ ."**مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَأُومِنَ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَعُدِيَ عَلَيْهِ وَرِيحَ بِرِزْقِهِ[1] مِنْ الْجَنَّةِ وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**"[رواه احمد، الحديث٨٨٧٦]، ويدخل أيضًا في أمان الله في هذا اليوم الشديد كل من لازمه شعور الخوف والخشية من الله في الدنيا، فعن شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله

١- هو مصداق قول الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [من الآية ١٦٩ من سورة آل عمران]

ﷺ قال "قال الله ﷻ وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمَّنته يوم أجمع عبادي" [صحيح الجامع].

تنفيس يكشف الكروب:

ومن أعظم ما تُكشف به الكروب يوم القيامة أن يكون العبد في دنياه ساعيًا لرفع الكرب عن المكروبين والتيسير عن المعسرين وستر عثرات المحطئين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[رواه مسلم، الحديث٤٦٧٧].

حجة وشفاعة:

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول."اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا"[رواه مسلم، من الحديث١٣٣٧]

نور ونجاة:

وإقام الصلاة من أعظم الصالحات التي تُقدم لهذا اليوم العصيب، فمن صلى الصلوات لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم قيامها وركوعها وسجودها وخشوعها كانت له نورًا من ظلمات القيامة ونجاة من أهوالها، فعن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال "مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا

كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلا بُرْهَانٌ وَلا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ" [رواه أحمد، الحديث ٦٢٨٨] وعن بريدة الأسلمي ﷺ عن النبي ﷺ قال "بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[رواه الترمذي، الحديث٢٠٧]

ثقل في الميزان

ومن أكثر ما يثقل ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق، فعن أبي الدرداء ﷺ سمعت النبي ﷺ يقول."مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ" [رواه الترمذي، الحديث١٩٢٦]

كما أن حسن الخلق يرفع منزلة صاحبه يوم القيامة حتى يكون قريبًا من النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أنه سمع النبي ﷺ يقول "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا قَالَ الْقَوْمُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا"[رواه احمد، الحديث٦٤٤٧]

في ظل عرش الرحمن.

عندما يكون الناس في الموقف العظيم تحت وهج الشمس التي دنت من الرءوس يذوقون من البلاء ما تنوء بحمله الجبال، يكون فريق من الأخيار هانئًا في ظل عرش الرحمن لا يعاني مما يعاني الناس، ويصف النبي ﷺ حال هؤلاء الأخيار حين قال فيما يرويه أبو هريرة ﷺ."سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ

وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[رواه البخاري، الحديث١٣٣٤]

على منابر من نور:

هؤلاء هم الذين يعدلون فيما كان لهم ولاية عليه، من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو أرواح أو أماء أو غير ذلك من أشكال الولاية، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا"[رواه مسلم، الحديث٦ ٣٤].

من أي الحور شاء:

في وسط أهوال القيامة يدعو المولى سبحانه فريقًا من الناس على رءوس الخلائق ليحيرهم بين الحور العين، هؤلاء هم الذين يضطون انفعالاتهم ويكفون غضبهم إذا ما أصابهم أذى كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ حين قال "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ"[رواه أبو داود، الحديث٤١٤٧]

*****